الميثولوجية كتعبير عن بنية الشكل الخزفي المعاصر

As an expression of the structure of contemporary ceramic mythological form

م. م. عامر طاهر محمد

Amer Taher Mohammed

Amer.taher1278@gmail.com

Institute of Fine Arts / معهد الفنون الجميلة

ملخص البحث

عني هذا البحث بدراسة مستفيضة قدمت البحث بثلاث فصول ، والتي بينت عنوان البحث الذي يخص الجانب الأسطوري ، وتعبيراتها الداخلة في البنية الميثولوجية ، وكانت المقدمة التي استعرض بها الباحث ، بعلاقة الفن بالمجتمع ومدى تأثر الفن بالأحداث والظواهر التي رافقت في حياتنا اليومية ، ومن ثم بينت مشكلة البحث ، ما التعالق الحتمي بين الاشكال الأسطورية والنصوص الخزفية المعاصرة بمستوياتها الزمنية ، ومن ثم تركز هدف البحث ، في الكشف عن الخفايا الميثولوجية التي أدت الى تكامل النص الخزفي المعاصر في ظاهرايته الشكل ومخفيه العميق ، وجاءت أهمية البحث بالسعي للتطورات والتحولات في الأساليب والخصائص الفنية الشكلية والخزفية ، فضلا عن إمكانية استثمارها في النتاج الفني التشكيلي على نحو عام وفن الخزف على نحو خاص .

Abstract

Summary of the research This research included an extensive study that presented the research in three chapters, which clarified the title of the research that concerns the mythological aspect and its expressions within the mythological structure. The introduction was in which the researcher reviewed the relationship between art and society and the extent to which art was affected by the events and phenomena that accompanied our daily lives, and then The research problem showed what is the inevitable relationship between mythological forms and contemporary ceramic texts at their chronological levels, and then the goal of the research focused on revealing the mythological secrets that led to the integration of the contemporary ceramic text in its apparent form and its deep hiddenness. The importance of the research came in seeking developments and transformations in artistic methods and characteristics. Formalism and ceramics, as well as the possibility of investing in fine artistic production in general and ceramic art in particular.

المقدمة

يسير الفن ضمن منظومة تنتمي الى الحياة الاجتماعية ، ليجعل منها على اتصال مباشر مع جميع الاحداث والظواهر التي تجري في حياتنا اليومية ، ولان الفنون التشكيلية بوجه عام والخزف منه بشكل خاص يقدم الأسطورة كتعبير عن المعنى والرمز ، باستعارات يمكن ان نلاحظها في فنون الحداثة وما بعدها ،حنى يمكننا ان نعد الفن منظومة معرفية تأثر وتتأثر بالمجاورات المعرفية الاخرى ، فهذه المنظومة لا يمكن ان تحقق الابداع اذ لم تجد لها أرضية مناسبة وتفاعل من قبل المجتمع ، ولان الفن استطاع ان يحول تفكير مجتمعه الى اداءات إبداعية أسهمت في تحقيق وحل العديد من المشاكل والمصاعب التي تواجه العالم ، فهو مؤثر كبير في تاريخ الإنسانية .

ارتبط الفن التشكيلي في الأزمنة الساحقة وتحديدا في عصر الدويلات والامبراطوريات منذ بداية نشؤه ، فقد كان له دور مهم ومؤثر في تاريخ الإنسانية ، اذ كان يخضع لسلطة الدين والعقائد السائدة في تلك الفترة ، ونحن مدينون لهذه الفترة التي تركت لنا اعمال فنية وروائع مثلت منظومة اشتغاليه وفكرية لفنان فترة الحداثة وما بعدها ، وقدمت ذلك الإرث الزاخر المحمل بعبق الاصالة والثراء للأعمال الفنية في بداية نشؤها ، وارتبطت هذه الاعمال بالقصص والاساطير الميثولوجيا ، اذ نجد نصوصها تحمل متغيرات حسب الصورة ، تتغير وتتبدل ، ذلك ان الاساطير منذ بداياتها صيرورة دائمة لم تتوقف من التحول وتطورها مع الزمن جعل منها سيرورة الفكر القديم وصولاً ليومنا هذا ، ولان هذه الاساطير تنتقل شفوياً اول الامر او عن طريق الطقوس ، ولا تلبث ان تنتشر عن طريق الكلمة المكتوبة ، ويغلب ان تكون هذه الاساطير من الاسرار التي لا ينكشف تفسيرها الا أمام الكهنة ، فالأسطورة التي تحقق تلك الاثارة في المجتمعات ، يمكن ان تمثل شعائر معقدة اسطورية يتغنى بها الشعب ويمكن ان تكون طقوس تتداول في المجتمع وتبلغ ذروتها التفاعلية عندما يفهمها الفرد وتبلغ اعلى درجات التفسير . وتاسيساً على ما تقدم يمكن ان نقدم مشكلة البحث بالسؤال الاتي .

ما التعالق الحتمي بين الاشكال الأسطورية والنصوص الخزفية المعاصرة بمستوياتها الزمنية

أهمية البحث والحاجة اليه .

ترتكز أهمية البحث في سعي الباحث بالتطورات والتحولات في الاساليب والخصائص الفنية على المستوى الشكلي ، والتي تحتاج الى دراسة وتحليل على وفق تأثر الخزاف العالمي المعاصر بها ، فضلا عن إمكانية استثمارها في النتاج الفني التشكيلي على نحو عام وفن الخزف على نحو خاص ، حيث اقتصرت الدراسات الجمالية التشكيلية من حيث الخصائص الفنية في هذا الموضوع أو ذاك على الرغم من أهمية الدراسة فيه. وبذلك تعد مثل هذه الدراسات، دراسة رائدة في هذا المجال. ومن هنا يكتسب هذا الموضوع أهميته.

هدف البحث :-

يهدف البحث في الكشف عن الخفايا الميثولوجية التي أدت الى تكامل النص الخزفي المعاصر في ظاهرايته الشكل ومخفيه العميق

حدود البحث :-

١- **الحدود الموضوعية** :- تشمل الحدود الموضوعية القراءات الميثولوجية في الفلسفة والفن واشتغالاتها الفلسفية والنقدية واثرها على الفن

٢- **الحدود الزمانية** :- (١٩٧٠-٢٠٢٣)

٣- **الحدود المكانية:** (الفن الخزفي المعاصر)

المبحث الأول: الأسطورة كمصطلح تعريفي في المعنى والمفهوم

عند البحث في أي ظاهرة من الظواهر المعرفية ، هنالك حاجة ضرورية للتعريف والكشف عن المصطلح ، فبدون هذه الخطوات ، قد نجد هناك عراقيل تواجه فك المصطلح وتوضيح الخفايا المخبوءة ، التي تنساق وراء جوانبها الثانوية من أي حدث او ظاهرة على حساب جوانبها الرئيسية ، ومن هنا فان دراسة أي ظاهرة من ظواهر الثقافة الإنسانية ، يجب ان تسير على مرحلتين ، الأولى تهدف الى التوصل الى تعريف دقيق للحدث او الظاهرة ، انطلاقاً من الحاجة الفعلية للبحث ، من شأنه ان يقدم تركيزه بتعريف واضح ودقيق للموضوع المراد اشتغاله ، ويمكن ان يكون منفردا في طرح المواضيع والمسميات التي تسهم في توضيح مسار البحث ، وفي مجال الأسطورة ، وهي ظاهرة من اهم ظواهر الثقافة الإنسانية ، ويمكن ان يعرفها فراس السواح في كتابه (الأسطورة والمعنى ، بأنها (الأسطورة ، هي حكاية تقليدية تلعب الكائنات الماورائية ادوارها الرئيسية).(١) غير ان العامل الأساسي بالاسطورة الذي يطلعنا على العديد من المفاهيم التي ينطلق منها هذا المصطلح ، في التعرف على الخرافة وعلى القصص البطولية والروايات المحكية التي تؤثر في المجتمع ، وينطلق منها الفن بعده الأداة الأهم في نقل الوقائع والاحداث والظواهر وترجمتها ، لنستطيع التمييز بين جنس الأسطورة عن غيره من الاجناس الأخرى ، ويستخدم مصطلح المثيولوجيا (علم الاساطير Mythology) في اتجاهين متميزين ، فهو لا يعني دراسة الاسطورة فقط ، وأنما يعتبر دعامه الاساطير الدينية ذات الطقوس الخاصة.(٢)

*المثيلوجيا(علم الاساطير)علم من العلوم الحديثة ، لم يكن معروفا عند العلماء القدماء كما نعرفه الأن ونبحثه، ودراسة الاساطير حتى عند الاوربيين الذين يعنون بها عناية تامة لم تصبح دراسة عامية الا في اواخر القرن الثامن عشر.(٣)

والميثولوجيا، مجموعة اساطير ، او ميثيات، تعمل على فك متعلقات الحياة ،الموت الطبيعة ،الثقافة وهو علم ، يعالج تصنيف المعتقدات ، ويحللها ويقارن ما بينها.(٤)

والميثولوجيا هي نظام الاساطير كما يرويها جنس معين ،كما يعني هذا اللفظ ايضا دراسة الاساطير بصفة عامة ،او علم الاساطير .(٥) ولكي نهتدي الى تفسير هذه الظاهرة التي تبدي للوهلة الأولى ، انها قد تجاوزت اطر المعقول في كل افكارنا وتحدت كل معاييرنا المنطقية ، علينا ان نبحث في هذا الامر عن الضواغط التي بينت هذه الظاهرة والتي أدت الى الكشف الخفايا المخبؤة في مجالات عملها ، والتي أسهمت في انضاج الحقل الفني

وقدمت ابداعاتها على مستوى الفن في القصص المحكية والروايات المسرحية والسينمائي الأدبية والفنية الى اخره من الفنون التشكيلية وصولاً الى فن الخزف وتمثيلاتها في بنيتها الميثولوجية ، وقد توصل الباحث الى ان الأسطورة ظاهرة بسيطة للغاية ، من شأنها ان لا تؤدي الى تفسير سيكلوجي او فلسفي معقد ، فهي تمثل البساطة في حد ذاتها ، لأنها لا تزيد على مظهر من مظاهر بساطة الفرد ، فهي ليست نتاج أي تأمل او فكر ، كما انها وصفها بأنها من نتاج الخيال الإنساني ليس امراً كافياً.(٦) اذ لا يستطيع الخيال التمرحل بالمخيلة وتفسير عيوبها واسهابها في جوانبها الوهمية ، او مواضيعها التي لا تمت بصلة الى الواقع سوى انها تقدم خطاباتها الميثولوجية بعناوين ترسم منظومتها الادهاشية ، وتقدم عنصر المفاجأة والذهول لنخبة من المجتمع.

ان هذا الاختلاف في تحديد زمن وبدايات الأسطورة ، نجدها تحمل متغيرات حسب تكوين صورتها الميثولوجية ، اذ نجدها تتغير وتتبدل وتتحول مع تطور الزمن والذي جعل منها سيرورة الفكر القديم وصولاً الى يومنا هذا ، فيمكن ان تكتب الأسطورة أساساً من الواقع التاريخي ، وكلما اتسعت الجماعة عظمت قوة الأسطورة.(٧) ، ولان هذه الاعمال ترتبط بسلطة الدين والدولة الكهنوتية ، فيمكن ان نقول ، ان القصص الأسطورية الميثولوجية ، تستدعي قوة متخيلة افتراضية تقدمها الاله باعتماد الاسرار والخفايا لتمثل ذلك الاعجاز المحمل بالمبالغة ، فهي منظومة ذاهلة للوعي الجمعي ، مرتبطة بمعتقدات دينية ضاغطة تجعل من العقل اسيراً لهذه القوة المتجسدة في أفعال الاله ، وذلك لتقديم أداة المبالغة والتعظيم والسلطة الماورائية ، لتكون كل افعالها مرتبطة بقوة نابعة من عالم ثان ، عالم بعيد عن تصور الفكر البشري ، الامر الذي يجعل حقيقة الأداء مخفية ، لان اعتماد التأويل في صياغة القصص هو ما يحمل الاثارة والتفاعل والانفعال لدى المتلقي ، فهو انفعال مصحوب بتصورات ذهنية وصور تراتبية ، في الخزين الابستمولوجي للذاكرة تأثر بها الفرد من اسلافه الماضيين .

المبحث الثاني: الانعكاس الأسطوري واستدعاءته في الفن المعاصر

انطلاقاً من فكرة الانعكاس في فن التشكيل ، وما قدمته هذه الصفة من تغيرات ، نتلمسها على مستوى النتاجات التشكيلية ، والتي يمكن ارجاعها الى منطق لا يخلو من الميثولوجيا الميتافيزيقة ، في المقابل نجدها استثمرت على نحوا واسع في فن التشكيل المعاصر، وحتمية الانعكاس نجدها تتعالق مع فكرة الاستدعاء او الاستعارة في الفن ، وتؤدي بالنتيجة الى تنوع اسلوبي لدى منتجو هذه النصوص ، علاوة على ذلك ان الانعكاس موضوعة لا مناص منها في أي أداء تشكيلي مهما كان جنسه وفي أي زمن انجز ، ويرى الباحث ان الانعكاس في فلسفة الفكر الأسطوري والميثولوجي قدم نصوصها الفنية على نحو ذكي في الاشكال التي اعتمدها الخزاف المعاصر في التسلسل الزمني لفن التشكيل المعاصر ، وهذا الامر يرجع الى الضواغط التاريخية التي قدمت ذلك التنوع الحاصل في المنجزات الفنية ، وبالتالي نجد ان استدعاء هذه النصوص ، كان لها الأثر في الكشف عن المسببات الرئيسية التي قدمت تلك الاعمال حسب الزمان والمكان ، مما أدى بالأمر الى حدوث ذلك التنوع الاسلوبي في المواضيع ، سواء كانت سياسية او اقتصادية او سيسولوجية الخ ، والتي كانت تبين مصدر السلطة الحاكمة ، المتمثلة بسلطة الدين

وسلطة الدولة وسلطة المعبد ، على وفق عمليات التنقيب الايركولوجي ، نجد ان هذا الانعكاس الحتمي ، في الشكل الفني ، بحكم اختلاف الضاغط المنتج لهذه النصوص .

وعند التمرحل في العصور المنصرمة ، نجد ان التحول في البنية الميثولوجية ، قد اخذ منحى متمايزاً وتنوع حسب الضاغط المهيمن في تلك الفترة ، فكانت الاستعارات في الفترة الاغريقية ، متمثلة بالمنظومة اللاهوتية والقصص الدراماتيكية والحكايات الساحرة والمثيرة التي اعتمدتها الميتافيزيقة الميثولوجية للاغريق ، الامر الذي حفز مخيلة فنان الفترة المعاصرة ، وقدم اثراء محمل بكم زاخر من الصور والمواضيع التي تثري مخيلة الخزاف المعاصر ، ومن ثم حققت منظومة تفاعلية سيسولوجية مندمجة بين مزاوجة الميثولوجيا من جهة وما يمكن ان ينفذه الخزاف من تجسيدات جمالية فنية ، بعيدة عن غايتها التأثيرية العقائدية من جهة أخرى ، وعليه يمكن ان نجد أنظمة الانعكاس قد تداخلت وتفاعلت لتكون منظومة تأويلية ، تقدم ذلك الافراط في الشكل والموضوع ، والذي بينها امبرتو ايكو ، في كتابه (التأويل بين السيميائيات والتفكيك) بأن الاستعارات الخلاقة ، تنبثق من صدمة ادراكية ، أي من نمط علاقتنا بالعالم الذي يسبق الفعل اللساني ويحفزه ، والحال اننا ، وبشكل لا يقبل الجدل نخلق استعارات للتعبير عن تجربة داخلية للعالم.٨ لتحقق بمنحاها تنوع اسلوبي مثير ، محققة الصدمة والذهول لدى متلقي تلك النصوص ، مما يترك ذلك الأثر التفاعلي ، عن طريق تقديم النص بهيئة ميثولوجية ، تكتسب صفة الانتماء العقائدي والجمالي.

وبالانتقال الى الحداثة وما بعد الحداثة ، نجد ان المنظومة الميثولوجية قدمت ذلك الانعكاس المتمثل في الشكل والمعنى ، وفي الضاغط الفكري والفلسفي ، لان الحداثة لم تقدم الشكل بمنطق روحاني ميثولوجي ميتافيزيقي ، يقدم الغايات والحاجات المرجوة التحقيق للقوة الماورائية او سلطة دينية روحانية ، لأنها ذات معنى يعتمد منطقاً متفلسف ، نستطيع ان نسميه بالفلسفة الجمالية او منظومة فلسفية ، حركت او وجهت النظم الميثولوجية ، على وفق مفاهيمها او توجهاتها الجمالية ، مما يؤدي بالأمر الى انعكاس واضح في النتاجات الجمالية المعاصرة ، ومنها فنون التشكيل.

ولكي نكشف الامر من حيث التعالق بين الميثولوجيا والفنون الحداثوية ، لابد ان نبين منطق الجمال ، للنتاجات الفنية المعاصرة التي تحركت بها هذه المنظومة الاستعارية في فترة الحداثة وما بعدها .

ان فكرة أحالة اللامعقول واللامحدود واللاوعي واللامدرك واللامستساغ ، كأدوات نفي ، بأحالتها الى واقعة متحققة ، تقترب من تأكيد منظومتها الفيزيائية الميثولوجية ، بأستخدام الطابع الجمالي ، وإظهار عنصر المفاجأة ، عن طريق تأكيد ماديتها ، بتجسيد القيم الجمالية بعيدا عن انتمائها الوظيفي ، لتقترب من غايتها بأظهار عنصر المبالغة والتضخيم ، بهيئتها الخارجية لتكون ايقونة جمالية ، الامر الذي استثمرته الحركات الفنية المعاصرة من حيث قوة الرفض المتأججة في الذات الفردية والجمعية ، عندما يتخطى الايقون وسلطة المقدس ، حدود الحركة المتاحة ، فنجد ان الرفض تحييدا لكل هذه السلطات التعسفية ، بأنواعها واشكالها ، ان كانت دينية او اجتماعية او سياسية ...الخ .

وعند الانتقال الى تشكيل الحداثة وما بعدها ، نجد ان الانعكاس الميثولوجي وانظمته ، حققت مستويات فردية تميزت بطابعها الجمالي والفني كنصوص بثت شفراتها ، الى مناطق لا يمكن مسكها وكأنها صيرورة متحركة متغيرة ، تقدم الشكل والتكوين بهيئات ونظم متحركة يحاول بها المتلقي ان يفكك البنية المتجسدة بهذا التشكيل ويستحدث بنى جديدة على مستوى الصور الذهنية وفاعلية الابتكار عند المنتج والمتلقي .

المبحث الثالث: قوة التخيل الأسطوري في الخزف المعاصر

ان القصص الأسطورية الميثولوجية تستدعي قوة متخيلة افتراضية تقدمها الاله باعتمادها الاسرار والخفايا لتمثل ذلك الاعجاز المحمل بالمبالغة ، فهي منظومة ذاهلة للوعي الجمعي مرتبطة بمعتقدات دينية ضاغطة تجعل من العقل اسيراً لهذه القوة المتجسدة في أفعال الاله ، وذلك لتقديم أداة المبالغة والتعظيم والسلطة الماورائية ، لتكون كل افعالها مرتبطة بقوة نابعة من عالم ثان عالم بعيد عن تصور الفكر البشري ، الامر الذي يجعل حقيقة الأداء مخفية ، ولان اعتماد التأويل في صياغة القصص هو ما يحمل الاثارة والتفاعل والانفعال لدى المتلقي ، فهو انفعال مصحوب بتصورات ذهنية وصور تراتبية في الخزين الأبستمولوجي للذاكرة تأثر بها الفرد من اسلافه الماضيين ، الامر الذي اسماه (كارل يونغ) باللاشعور الجمعي فهو يعتقد ان هذه التصورات نتيجة لنمو الانسان التطوري والتي تتراكم نتيجة الخبرات المتكررة بعد أجيال كثيرة ..ويرجع يونغ شيوع اللاشعور الجمعي وعموميته الى تشابه البناء الفعلي لدى جميع اجناس البشر نتيجة للتطور المشترك(٩) فالأسطورة وان كانت مرتبطة بالقصص والاحداث التاريخية التي اخذت حيزاً مهماً من الزمن ، الا انها غدت منظومة غنية وثرية محملة بالصور والأفكار أسهمت في تبني الكثير من مواضيعها في الفن ، استطاع بها الفنان ان يتلقف تلك المفاهيم بحكم انتمائه لهذه المنظومة الجمعية التي اسماها يونغ بـ((المكونات البنائية للاشعور الجمعي او الأنماط الأولية والصورة الأسطورية او انماط السلوك والمسيطرات dominants))(١٠) ليحيلها بفعل هذا الضاغط الميثولوجي الى ابداعات حداثوية استدع الفنان تلك الصور وتمثيلها بنصوص فنية مثلت ذلك التنوع في المواضيع الفنية وتأسيسا على ما تقدم فأن الاساطير كان لها تأثيراً قوياً على الفنون بشكل عام والخزف منه بشكل خاص ، وهذا الامر نجده عند الفنانين الرواد الذين يعدون من اهم مؤسسي فترة الحداثة وما بعدها لتمثيلهم وتجسيدهم لأبطال القصص الميثولوجية ، اذ وجدوا في هذه الاساطير القديمة تقدم ذلك الإيحاء الذي يجسدها بهيئة ابداع جمالي حداثوي ، لأنها عندما تترجم الى نصوص فنية تجد ذلك التفاعل المصحوب بالإثارة والانفعال المؤثر في المجتمع والفرد ، فهي بحد ذاتها تناغي عواطفنا السايكولوجي لعواطفنا ، كانت وماتزال تستهوي خيالنا ليومنا هذا ، فالفن الحديث قد أعاد صياغة الاساطير تلك الإشارات الميثولوجية بغاية تمثيلها الجمالي ، بعيداً عن وظيفتها التاريخية او خصوصيتها اللاهوتية القدسية ، فالأسطورة على الرغم من ارتباطها بالتاريخ واعتماداها قصص وروايات ميثولوجية ، الا انها في فترة الحداثة وما بعدها اخذت منحى متمايزاً يجعل من تداولها يعكس صفتها الخارقة كأداء جمالي، فهي تعبر عن تلك القوى الخفية في البطل او القصة ، فهذه الإعلانات إشارات عديدة للأساطير ((فقد تسمى سيارة باسم الهة رومانية ، وقد يوضع

اسم عداء سريع للاله راديانير على سيارة ، وقد يحمل نوع من مواد اللحام اسم عملاق قديم اسطوري او يحمل قلم رصاص اسم ربة الحب لرشيقة))(١١) فصياغة الاساطير الميثولوجية مازالت تستهوي المشتغلين المعاصرين .

وتأسيسا على ما تقدم فأن الاساطير كان لها تأثيراً قوياً على الفنون بشكل عام والخزف منه بشكل خاص ، وهذا الامر نجده عند الفنانين الرواد الذين يعدون من اهم مؤسسي فترة الحداثة وما بعدها لتمثيلهم وتجسيدهم لأبطال القصص الميثولوجية ، اذ وجدوا في هذه الاساطير القديمة تقدم ذلك الإيحاء الذي يجسدها بهيئة ابداع جمالي حداثوي ، لأنها عندما تترجم الى نصوص فنية تجد ذلك التفاعل المصحوب بالإثارة والانفعال المؤثر في المجتمع والفرد ، فهي بحد ذاتها تناغي عواطفنا السايكولوجي لعواطفنا ، كانت وماتزال تستهوي خيالنا ليومنا هذا ، فالفن الحديث قد أعاد صياغة الاساطير تلك الإشارات الميثولوجية بغاية تمثيلها الجمالي ، بعيداً عن وظيفتها التاريخية او خصوصيتها اللاهوتية القدسية ، فالأسطورة على الرغم من ارتباطها بالتاريخ واعتماداها قصص وروايات ميثولوجية ، الا انها في فترة الحداثة وما بعدها اخذت منحى متمايزاً يجعل من تداولها يعكس صفتها الخارقة كأداء جمالي، فهي تعبر عن تلك القوى الخفية في البطل او القصة ، فهذه الإعلانات إشارات عديدة للأساطير ، فصياغة الاساطير الميثولوجية مازالت تستهوي المشتغلين المعاصرين.

ان الامر الذي يعنينا في ها البحث ، هو البناء الميثولوجي للدراماتيكية ومدى تأثيرها في الفكر الحداثوي المعاصر ، فهذا الامر الذي يجعل من الفكر الأسطوري يجد الصدارة في تمثيل العديد من الاعمال الفنية في انطلاقة ثورة الحداثة ، فالأساطير كانت وماتزال تمثل الواعز الاشتغالي وتعتمد التأثير المباشر للفن ، لكن الامر لا يقتصر على الامتداد الفعلي في تصوير هذه الاحداث والقصص الأسطورية التي اتخذتها في ازمان سبقت الحداثة بزمن ، لكن مع مجيء الحداثة وتبني نظريات جديدة ، واجه العالم تغيير جذري في الأفكار والمفاهيم ، أصبحت هناك تساؤلات عديدة واجابات أسهمت في اتباع فهم جديد وطريقة عمل افقدت الجانب العقلاني الكثير من خصائصه لأنها ازدرت ورفضت كل ما هو واقعي ويحمل قيم ومبادئ أخلاقية ، هذا التغير هو ما يسميه (ارنست كاسيرا) في كتابه (الدولة والاسطورة) بـ((قوة الفكر الأسطوري وغلبته على الفكر العقلاني))(١٢) الامر الذي دعى الاتجاهات الفنية في فترة الحداثة وما بعدها تعتمد المخيلة والخيال في تجسيد وانشاء العديد من الاعمال الفنية ، لان الأسطورة هي نتاج وصنيعة الخيال الإنساني ، فعملية بناء النصوص في تلك لفترة ازاحت التصورات والمواضيع الواقعية واتجهت نحو مفارقة الواقع بكل اشكاله الفيزيائية ، فانبرت لنا الاشكال الفنطازية وما تنتجه مخيلة الفنان من اعمال تحاكي بمفهومها فعل الوهم الذي يعرض ((امام عقولنا على نحو اختياري))(١٣) فهذه الاشكال اذا ما ارادت ان تحقق نوعاً من الدراماتيكية المفاجأة التي تستفز مخيلة ومشاعر المتلقي وتفاجئه وتقدم له الاثارة والذهول ، لابد ان تكون فنون بعيدة عن تجسيدها للواقع او تعتمد الواقع لكن بتقويض زمانه ومكانه وتعتمد المخيلة في تجسيدها لأشكال تقترب من الأسطورة والخيال المفارق لمنطق العقل والحقيقة ، فلو استدعينا بعض من هذه النصوص الفنية ولاسيما ما أنتجته المدراس التي اعتمدت العبث والتقويض في نصوصها ، نجد ان كل تركيباتها عبارة عن صور واشكال اسطورية تجسد هذه المواضيع لكن ليس بأيقونتها المقدسة او الحكاية بقدر ما

تظهر بأسلوب تهكمي ازدرائي ساخر يستفز مخيلة المتلقي بتقويضه للميثولوجية المقدسة ، لانهم ((متمردين اعتمدوا كل ما هو عبثي وتصادفي او عشوائي وغير منطقي))(١٤)

الفصل الثالث

استكمالا لمتطلبات البحث ، قدم الباحث الفصل الثالث ، بناءاً على المرجعيات النقدية والفلسفية في التدمير ، واحالاتها الادائية ، التي قدمت محاورها التحليلية ، بتقسيمات اعتمدت في منحاها ضواغط ، شكلت تأثيرها الحتمي للتنوع الاسلوبي للفنان ، تعتمد منظومة معاصرة ، تستقبل الميثولوجيا كفكر جمالي ، بمنهجية تحليل تقدم مراحلها بتراتبية ، علو وفق مجاميع تقدم فعلها الادهاشي والصادم للمجتمع .

مثلما نعلم ، ان المحاولات التي قدمها فنانوا الفترة المعاصرة في منتصف القرن العشرين وصولا الى مطلع الالفية الثالثة ، اعتمدت في منحاها أساليب ميثولوجية قدمت ذلك التعالق الحتمي في الاشكال الأسطورية ، وقدمت بوادر تحول أسهمت في نضوج الفكر والتنوع الاسلوبي في النصوص الخزفية ، وفق علاقات شكلية استدعت الميثولوجية في النص الخزفي المعاصر ووظفتها بهيئة تخرج عن ادواتها السيسولوجية ، سواء كانت على مستوى الضواغط الدينية او السياسية او الاجتماعية ، وهذا الامر ابتدأ في عملية مشاكسة الايقون المتمركز في الوعي الجمعي ، وصولاً الى اظهار العلاقات الشكلية بأداء يستدعي الجدل ، وتعتمد بمفهومها علاقات جديدة تؤسس لمنظومة وعي تقدم أدائها الجمالي وفق عملية تعالق بين ما هو متسيد في حراك الفكر الاجتماعي وبين الأداء الجمالي ، وهذا الامر يتطلب ان يكون لدى الفنان الخبرة الابستمولوجية اللازمة التي تقدم ذلك التنوع الفكري ، مما يدفعه الى احداث ذلك التغيير الذي يلغي وظيفة الشكل الميثولوجية ويؤسس الى علاقات جمالية تقدم نصوص إبداعية في الفن

هذا الامر الذي قدمه الخزافون في نصوصهم الخزفية والذي مثل انعكاساً واضحا للتغير الحاصل في فن الخزف المعاصر والتنوع الاسلوبي المختلف في مجالات الفن التشكيلي ، مما جعل يقدم نصوصه الخزفية بمنظومة مستفزة ، تقدم ذلك التعالق للنتاج الخزفي وفق رسومات ومعالجات استخدمت الشكل واللون على سطح القطعة الخزفية ، بدلالات معنوية ورمزية ، في استدعاء الصور والاشكال الميثولوجية بمنظومة حكائية .

Jean bad1993

akio-takamori(1986)

Michael Kopylkov ١٩٧٥

تضفي في وقائعها تشكيلاً ميثولوجياً مكثفاً بتأثير الضاغط المجتمعي ، اعتمد الفنان مشهداً يمثل حدثاً او ظاهرة او فعل متأثراً بقلق سايكولوجي ، متعالق مع فكرة البنية الميثولوجية ، والتي تمثل الروحية الانتمائية لبيئة ومجتمع الفنان ، بأشكال مفترضة من الواقع المتاح ، لكن بهيئة تخرج عن متداولها السائد ، عمد الفنان الى اظهار عنصر المبالغة والاثارة في النصوص الخزفية ، بمنحاه التجريدي ، وفق بناء ميثولوجي يلغي فاعليتها السحرية وقوتها التخيلية ليقوض بنيتها العميقة ، ويوظفها بهيئتها الجمالية الإبداعية ، وفق منجز شكلي ، بمنظومة حكائية دراماتيكية ، تقدم للمتلقي إشارات ورموز تحاكي بمفهومها احداث وظواهر دينية وسياسية واجتماعية ، تمثل انفعال وتفاعل مع النص الجمالي الخزفي ، لتكون عملية التواصل وفق حراك فكري اجتماعي جمعي ، يقدم التعالق الحتمي للمعنى والمفهوم ، لتكون منظومة شادهه للمجتمع ، تقدم اثارتها لحقل الإنتاج المستقل للمجتمع ، الذي ينتمي اليه الفرد بمرجعياته العقائدية والايدولوجية .

وتكون منظومة شادهه للمجتمع تقدم اثارتها للطبقة التي ينتمي اليها الفرد ، بحكم انتماءه الجمعي للمرجعيات العقائدية والايدولوجية ، مما يؤكد لنا ، ان دراماتيكية التقويض التي تلامس المفاهيم الاجتماعية الجمالية ، وتستدعي الحدث في زمانه ومكانه وتنتج اعمال خزفية تقدم الاثارة لدى جمهور تلك الفترة ، وتؤثر في العادات والتقاليد والعقائد التي تفرض نفسها على الافراد ، لتتحكم في نشاطاته الخاصة ، وفق قوانين جمالية جماعية ، تعتمد فهم معين للجمال في كل عصر وفي كل بيئة ، وما يمكن ان تحقق توافقها المرضي من قبل المجتمع ، لتكون منظومة صادمة ومفاجأة لدى جمهور تلك الفترة .

ان التعالق الحتمي الذي يلامس المفاهيم الاجتماعية الجمالية ، ويستدعي الحدث بمستوياته الزمنية على وفق ذلك التراتب الشكلي للأسطورة الميثولوجية ، والتي تقدم اثارتها لدى المتلقي ، عندما تكون مؤثرة في العادات والتقاليد والعقائد بوقائعها المفروضة على المجتمع وعلى الفرد ، فيتفاعل مع النص بروحية عقائدية ميثولوجيه، تؤثر في الوعي الجمعي وتكون مؤثرة في النظام السايكولوجي ، مقدمة نص جمالي ، محمل بطاقة روحية ، تعتمد بمنحاها فهم معين للجمال ، تتداخل مع الخفايا اللاشعورية للفرد الداخلية ، تضفي عليه إطفاء قلق سايكولوجي يلازم الفرد في حياته ، من تخوف مجهول او تحقيق غاية مرضية تقدم الطمأنينة والارتياح النفسي للفرد ومتلقي تلك النصوص .

هذا الامر نجده عند الخزافين الذين قدموا نصوصهم الجمالية ، وفق تعالقات ميثولوجيه تستسقي اشكالهم الأسطورية بخزفيات معاصرة تقدم اثارتها بأشكال تلامس ذهنية المتلقي تحيلنا الى اساطير وقصص وروايات تتحرك في الفكر الاجتماعي السائد ، وتلامس ذهنية المتلقي بأشكال مستدعاه من الفترة الاشورية والسومرية ، لخزافين عراقيين ، وفق منظومة حكائية درامية تمثل الاله الاشورية ، والتي اشتغلت بفعل عامل الأسطورة والدراما الدينية ، فضلا عن تحقيق نظام تركيبي في تلك الكائنات المتشكلة لمخيلة منتجي تلك النصوص في استدعاء الصور والاشكال الأسطورية ، تلك النصوص قدمت بمنحاها تنوع مختلف في الأساليب فغدت منظومة تقدم تعالقها الحتمي ليس فقط على الجانب المتمثل بالأشكال السومرية والحضارات القديمة ، بل تعدى ذلك الامر الى استدعاء اشكالاً

مثلت حدث او ظاهرة ، بقصص حكائية درامية انبثقت من رحم المجتمع وأصبحت قصص يتغنى بها الوعي الجمعي.

Neil (٢٠١٥)

(١٩٨٧)Virgil Ortiz

Tamsin Van(٢٠١٧)

هذه المرمزات أضحت اشكالاً ونصوص يقدمها الخزاف التي عبرت عن روحية المحكي والمنطوق بمخيلة مجتمع تناغي بمفهومها المشاعر والاختلاجات اللاشعورية ، والتي غدت منظومة ذاهلة للوعي الجمعي ، تقدم تكثيفها للإثارة الروحانية بأطر وأساليب مستفزة ، محققة اثارة جمالية تستقرئ الطالع المجتمعي وفق اشكالاً وصور قابعة في الفكر الاجتماعي وتحاكي بمفهومها الشعور الداخلي لانتماء الفرد لمجتمعه ، وهذا ما جعل من الخزاف يقدم تلك الصور والاشكال بروحية المبدع الذي يستدعي لحظات الانفعال والتفاعل مع تلك المنظومة بمحاكاة تتعالق مع الاثارة المرجوة للوظائف الميثولوجية بالترجي وتحقيق الغاية وقدسية الشكل والدعوات بالنذور واضفاء القلق السايكولوجي ، هذا الامر جعل من التشكيلات الميثولوجية التي يقدمها خزافو الفترة المعاصرة بنصوص فنية قدمت الواقع الميثولوجي بجمالية معاصرة ، محققتا ابداعاً جمالياً للذات المتلقية ، بأثارة وبهجة في عملية انفعال لاشعوري ، يجتاح المدركات الداخلية للمتلقي ، وفق تركيبة رمزية يتم تجسيد اشكالها بتكوينات مغايرة ، بعيدة عن التمثيل الواقعي ، بحرفية ومهارة مخيلة ابتكارية عند الخزاف ، تعتمد الواقع لكنها تتمرحل بعوالم تقوض زمانية المكان ، لتستدعي لحظة الانفعال بتأويل يعتمد المبالغة بصور واشكال يفهمها الوعي الجمعي ، كما لو كانت ترنيمة تتوارثها الأجيال ، متمثلة في حركة الفكر الاجتماعي ، بصور وأشكال ، تقترب من تفعيل منظومة حكائية مستفزة تلامس الاختلاجات والانفعالات الفرد الداخلية .

وكذلك الامر يستمر عند الخزافون المعاصرون ، عندما يقترب من تحقيق خزفياته ، مع ما تم انتاجه في الازمان السابقة بتعالقها الميثولوجي من صور واشكال اسطورية ، بتعتيق لوني يلامس ذهنية المتلقي ، ليقدم تلك الاثارة الانفعالية المحملة بروحية الانتماء لفترات سابقة ، قدمت صور تراكبية في ادائيتها ، بتنوع من أساليب لقصص وروايات دينية وعقائدية من الإرث التاريخي ، وكأنها نوع من ايقونات قابعة في الفكر الاجتماعي السائد تحقق فاعليتها وتأثرها بأرتباطها بعمق سايكوابستمولوجي ، بوصفها دلالات تقدم صدمتها الذاهلة بعناوين ، يستثمرها الخزاف كعلامات مباشرة ، توضح أدائها بين المتلقي لثقافة مجتمع ما وبين اساطيره.

النتائج

الأسطورة كتعبير عن البنية الميثولوجية والدينية حققت أداءات قدم نوعاً من التعالق الحتمي ،اعتمدت منحيين ، المنحى الأول استدعا الخزاف نصوصه الخزفية وقدم اشكالا تقترب من قدسيتها الحتمية للقيم الدينية والمنحى الثاني قدمها الخزاف بطابع جمالي بعيداً عن وظيفتها واستخداماتها الدينية ،فاسقط منها روحيتها وقدسيتها الانتمائية للفرد ، فغدت اشكال تدعوا الى التأويل ، ليخرجها بأشكال تختلف عن واقعها المتاح يعتمدها الفنان للجمع بين تلك المتعالقات ليركبها وفق منظومة تستدعي المتناقضات بعملية تركيب قصدية ، تتمثل بمنظومة حكائيه دراماتيكية تحقق تناقضها الفعلي عندما تتشكل بهيئة تخالف المألوف وتسعى الي تبني علاقات وأنظمة بعيد عن تأطيرها العملي والموضوعي ، فهي انفعالات دوغمائية تفرض نفسها عن طريق سلطة الامتلاك ، فيسعى الخزاف الى تجسيد تعالقها الحتمي بين الشكل والمجتمع بعدها تاريخ ميتافيزيقي وميثولوجيه وهمية ، وهذا ما جعل من الفنان المعاصر يعتمد في نصوص الفنية على الأسطورة والحكاية ليحلق في مخيلته الإبداعية ، ويسعى الى ابتكار عوالم جديدة يصنع اسطورته الذاتية التي تقدم منظومته مثيرة وذاهلة لمتلقي الفنون ، لأنها مواضيع اسطورية نابعة من مخيلة الفنان وخياله الابستمولوجي من ناحية ، وتجسيد المواضيع التقنية والفنية التي تعتمد في منحاها تفاعلات سايكولوجية تؤثر في الفرد ومجتمعه في عاداتهم وتقاليدهم ورموزهم وثقافتهم من ناحية أخرى .

الاستنتاجات

أسهمت التحولات والتغيرات التي رافقت التطور الحضاري في فترة الحداثة وما بعدها ، بعداً لامتناهياً في الكشف عن الخفايا المخبؤة داخل النص والتي أدت بمنحاها الى التعبير عن الأسطورة الميثولوجية وفق تفاعلها بين النصوص المنطوقة والمحكية عند المجتمع والذي يكتسب ذلك التأثر بأستدعاءات لاشكال وصور تناغي مشاعر متذوقي تلك المنجزات الخزفية عندما تقدم فعلها بتمرحلات وانتقالات ابتدأت من الجزئي البسيط باستفزاز الشكل والمتداول في المجتمع الفني وصولاً الى حتمية التفاعل والتي عدت اعلى مستويات الاثارة والانفعال و مما حققت النصوص الخزفية ابداعاً ملحوظ ومميز ، تقدم صورتها الميثولوجية بهيأة عبثية مرافقة ومتفاعلة مع الازمات والقفزات التي رافقت التطور التكنولوجي في مجالات المعرفة ، وهذا ما جعلت من فنان او خزاف الفترة المعاصرة ، لا يستطيع ان يفصل نفسه عن الظاهرة او التغيرات التي حدثت في عصره او زمنه الابستمولوجي ، فهي بمثابة موج جارف ، جعلت من الخزاف يتجه الى تقديم وصياغة مبادئ جديدة في الفن ، فضلاً عن اكتسابه نوعاً من الاستقلالية ، مما جعلت منه فنان شامل متقد المعارف ومتنوع الفكر

احالات البحث

١- فراس السواح :- الأسطورة والمعنى ، دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع ، ط٢، دمشق ،٢٠٠١ ص ٥

٢- الاساطير العربية قبل الإسلام ، تأليف: محمد عبد المعين خان ،القاهرة ، ٢٠٠٠، ص٥

٣- كارل كارنية ، الاسطورة وعلم الاساطير، نقلا عن الموسوعة البريطانية ، ص ٥

٤- معجم المصطلحات الادبية المعاصر، سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، ص٥

٥- امير سلامة : الاساطير اليونانية ، الهندواي للنشر ، مصر ، ١٩٨٨ .ص٥

٦-ارنست كاسيرا:- الدولة والاسطورة ، تر: احمد حمدي ،الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥، ص٦

٧- جون ماكوين :- موسوعة المصطلح النقدي ، تر: عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ١٩٩٠ص٦

٨- امبرتو ايكو :- التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، تر: سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤ ص٨

٩- ROSSI,I.STRUCTURE AND HISTORY IN THE ELEMENTARY STRUCTURES OF KINSHIP,IN; THE UNCONCIAUS IN CUL-TURE,PP١١٣-١١٥ص١٠

١٠- كلود ليفي شتراوس : الأسطورة والمعنى ، ت، ر: شاكر عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦ص١٠

١١- امير سلامة : الاساطير اليونانية، الهندواي للنشر ، مصر ، ١٩٨٨ص١١

١٢-ارنست كاسيرا : الدولة والاسطورة ، تر: احمد حمدي ،الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ص١٢

١٣- شاكر عبد الحميد : الخيال من الكهف الى الواقع الافتراضي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، ٢٠٠٩ ، ص١٢

١٤- furlong,e.j(١٩٦١) imagination. London; George and uniwin ltd,p.٨

المصادر والمراجع

- ارنست كاسيرا : الدولة والاسطورة ، تر: احمد حمدي ،الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥
- امبرتو ايكو : التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، تر: سعيد بنكراد ،المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤
- امير سلامة : الاساطير اليونانية
- جون ماكوين : موسوعة المصطلح النقدي ، تر: عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ١٩٩٠،
- شاكر عبد الحميد: الخيال من الكهف الى الواقع الافتراضي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، ٢٠٠٩ ،
- فراس السواح: الأسطورة والمعنى ، دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع ، ط٢، دمشق،٢٠٠١
- –كلود ليفي شتراوس: الأسطورة والمعنى ، ت، ر: شاكر عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦
- الاساطير العربية قبل الاسلام، تأليف: محمد عبد المعين خان ، القاهرة ، ٢٠٠٠
- معجم المصطلحات الادبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، ١٩٩٩.

المصادر باللغة الانكليزية

- - furlong,e.j(1961) imagination. London; George and uniwin ltd,
- ROSSI,I.STRUCTURE AND HISTORY IN THE ELEMENTARY STRUCTURES OF KINSHIP,IN; THE UNCONCIAUS IN CULTURE,PP113-115